سلطة اللّغة في التّفكير النّقدي عند العرب.

Authority of language in Arab critical thought.

قرماط عبد القادر[1*]؛ بوشيبة بوبكر.[2]

[1]- جامعة أمين العقال الحاج موسى أق أخموك؛ تمنغست (الجزائر).

البريد الإلكتروني: *a.garmat@cu-tamanrasset.dz*

[2]- جامعة طاهري محمد؛ بشار(الجزائر).

البريد الإلكتروني: *bouchibab33@gmail.com*

تاريخ الإرسال: 21/11/04؛ تاريخ القبول:21/11/26؛ تاريخ النشر:21/12/16

الملخص:

لقد عمد اللغويون إلى اتخاذ الشعر وسيلة للاستدلال والاستشهاد بوصفه النموذج في الاستعمال اللغوي، ورسموا بذلك الحدود التي ينبغي أن يظل الشعر دائراً في فلكها، فأسسوا لسلطة النظام اللغوي في النقد العربي القديم، وشكلت سلطة النظام اللغوي منظومتها الخاصة التي استمدت حضورها من قداسة اللغة، فارتبطت جودة الشعر بمدى التزامه بالقوانين اللغوية والنحوية التي نظموها وقعدوا لها. ولم يختلف الأمر عند النقاد إذ أن المعايير التي اتخذها اللغويون في النظر إلى صحة الشعر وسلامته اللغوية، سيطرت على أحكام النقاد فيما بعد، وعلى المقاييس التي يصدرون عنها في آرائهم النقدية.

*المؤلف المراسل.

لقد دفعت سلطة النظام اللغوي في الثقافة العربية الناقد العربي إلى الانطلاق في نظره للشعر من لغة العرب الأصيلة التي جمعها اللغويون وأصلوها وقعدوا لها ، ويتخذها مقياسا في الحكم على الشعر ، فالصحة مرتبطة بتمثل هذه اللغة وموافقتها ، وكل انحراف عنها أو تجاوز لقواعدها يعد خطأ ، فالصحة اللغوية هي مدار النظر إلى الشعر بوصفها مادته وأداته ، وبها يكتسب الشعر قيمته. ولقد حرص علماء اللغة العربية من خلال مدارستهم للشعر على التأسيس لهذه الرؤية ، والتمكين للنظام للغوي من فرض سلطته على المشهد النقدي العربي، ويكفي أن نتأمل النقد العربي القديم لندرك ولاء النقاد لسلطة النظام اللغوي، فقد عدوا الصحة اللغوية مقياسا نقديا للحكم على الشعر.

<u>الكلمات المفتاحية:</u> اللغة؛ النظام اللغوي؛ النقد اللغوي؛ النقد الأدبي؛ السلطة.

<u>Abstract :</u>

The linguists have deliberately taken poetry as a means of inference and citation as the model in linguistic use, and by that they drew the limits that poetry should remain in its orbit, so they established the authority of the linguistic system in ancient Arab criticism, and the authority of the linguistic system formed its own system that derived its presence from the holiness of the language. The quality of poetry is the extent to which it adheres to the linguistic and grammatical laws that they organized and seated for The matter was not different for the critics, as the criteria adopted by the linguists in looking at the validity and linguistic integrity of poetry dominated the judgments of the critics later, and the standards they issued in their critical opinions.

The authority of the linguistic system in the Arab culture has pushed the Arab critic to start, in his view of

*المؤلف المراسل.

poetry, from the original Arabic language that linguists have gathered, rooted and settled for, and he takes it as a measure in judging poetry, for health is linked to the representation and approval of this language, and every deviation from it or exceeding its rules is a mistake. Linguistics is the point of view of poetry as its substance and tool, and through it poetry acquires its value. Through their studies of poetry, Arabic-language scholars have been keen on establishing this vision and enabling the linguistic system to impose its authority on the Arab critical scene, and it is sufficient for us to contemplate the ancient Arab criticism to realize the critics' loyalty to the authority of the linguistic system, as they considered linguistic validity as a critical measure for judging poetry.

Key words: language; linguistic system; linguistic criticism; literary criticism; authority.

مقدمة:

إن النقد الذي مارسه علماء اللغة يسعى إلى تكريس سلطة النظام اللغوي في النظر إلى الشعر من خلال الحرص على الصحة اللغوية، والذي لا بد أن ينطلق في أساسه من اللغة التي تتألف منها عناصر هذه الظاهرة، وإذا كان اللغويون قد اضطلعوا بمهمة نقد الشعر، حفاظا على سلطة النظام اللغوي وتكريسها من خلال تتبعهم لأخطاء الشعراء والتنبيه عليها، بوصف الشعر استعمال النخبة للغة، فلابد من سلامة لغة الشعر لأنه يمثل النموذج في الاستعمال اللغوي. فإن النقاد لا بد أن يكون لهم رأي آخر بوصفهم أقرب للشعر وأعلم بخصوصيته، وأبعاده الجمالية والفنية. فكيف كان موقف النقاد من السلطة المتنامية للنظام اللغوي في النظر إلى الشعر والحكم عليه ؟.

1 - سلطة اللغة في الفكر العربي:

*المؤلف المراسل.

لا يمكننا تصور خطاب ثقافي بمعزل عن النظام اللغوي الذي يعد من أكثر الأنظمة ثباتا والأكثر تسلطا في هذا الخطاب، حيث تعد اللغة مكونا رئيسيا في أي ثقافة، فهي الحامل لأنساقها والضامنة لاستمراريتها، لأن اللغة في أي مجتمع ليست مجرد انساق وظيفتها التواصل بين أفراد المجتمع، ولكنها وعاء يحوي مكونات عقلية ووجدانية ومعتقدات وخصوصيات هذا المجتمع، إذ "أن منظومة لغوية ما تؤثر في طريقة رؤية أهلها للعالم وفي كيفية مفصلتهم له، وبالتالي في طريقة تفكيرهم" (Adam chaff, langage atonnaiss, 292-293)، فالنظام اللغوي يتغلغل في الكيان الاجتماعي والحضاري لأي مجتمع بشري، ويهبه خصوصيته وتفرده عن باقي الحضارات.

ومن المؤكد أن الحفاظ على سلامة اللغة العربية يساعد علي الانسجام والتناغم بين أفراد الأمة العربية، بل والاعتزاز بهويتهم؛ لأن أبناء اللغة الواحدة يشكلون قوالب فكرية وثقافية مشتركة، لذا فاللغة تسهم مساهمة فعالة في الحفاظ علي الهوية الثقافية العربية والإسلامية (عبد الرحمن عمر الماحي، 2007: 655).

وعليه فإنه لا يخفي دور النظام اللغوي في توجيه الفكر وإلزامه بالمفهوم الذي يراه للحقيقة بوصفها الهدف الأساسي للفكر، لذلك تتداخل اللغة والفكر، إذ أن الفكر "ليس شيئا أكثر من الكلام الذي بقي وراء الصوت (...) وعندما يفكر الإنسان فانه يتكلم بالرغم من أن هذا الكلام لا يسمع" (أحمد عبد الرحمن حماد، 1985: 20 -21)، لذلك يجب توحيد العلاقة بين اللغة والتفكير إذ أن الفكر ينتج اللغة واللغة تنتج الفكر، فابتعاث ثنائية اللغة والفكر، يؤشر تلازما حتميا بينهما، مما يعني انسراب سلطة النظام اللغوي في الوعي واللاوعي

*المؤلف المراسل.

الجمعي، محددا سبل التفكير ومناهج المعاينة (عاصم محمد أمين بني عامر، 2010: 32).

ومبعث هيمنة النظام اللغوي في الثقافة العربية هو تموضع قواعد اللغة وأنظمتها وأنساقها في الوعي واللاوعي الفردي والجماعي، حيث تبقى محدداتها محكومة بأنساق وأنظمة متشكلة سلفا تتخذ هيئات واتجاهات محددة، لها دور كبير في توجيه الخطاب الثقافي العربي، وتحديد مساربه. فاللغة نظام فعال لا ينكر دوره في قولبة الخطاب الثقافي (عاصم محمد أمين بني عامر، 2010: 32)، إذ أن "كل ثقافة تحمل جنسية اللغة التي تنتجها، وأن نظام المعرفة العام في كل ثقافة لابد أن يختلف، قليلا أو كثيرا، عن نظام المعرفة في الثقافات الأخرى، وأن للغة دورا أساسيا في هذا الاختلاف" (أحمد عبد الرحمن، 1985: 141).

2 - التأسيس لسلطة اللغة في النقد العربي القديم:

ظهرت علوم اللغة العربية التي حاولت حماية اللسان العربي مما يطرأ عليه نتيجة اختلاط العرب بغيرهم من الأمم، "وظهر علم النحو، واستلزمت علوم اللغة والنحو شواهد لتدعيم القواعد، فالتمسها العلماء في القرآن تارة، وفي الشعر أخرى" (الجابري، 1982: 75 -76)، فالتقعيد للغة وعلومها، يستلزم البحث في اللغة الأصيلة للعرب من أجل استقاء الشواهد، والحجج اللغوية، التي لابد أن تنطلق من نموذج يمثل الاستعمال اللغوي السليم والذي كان هو الشعر.

وقد اضطلع الشعر بوظيفة التأصيل للنظام اللغوي، كون العلماء الذين قعدوا لهذا النظام رجعوا للشعر القديم وتمثلوه كونه أصل الاستعمال اللغوي الذي حافظ على سلامة اللغة في اعتقادهم، ومن ثم كان الحفاظ على لغة الشعر حفاظا على اللغة وحفاظا على

*المؤلف المراسل.

الثقافة، والهوية العربية، كون اللغة من أهم الأسس التي تقوم عليها ثقافة الأمة، ولهذا جاءت أحكام النقاد اللغويين صارمة في النظر إلى الشعر، ولعل ذلك راجع أيضا لوظيفة هذا الشعر في النظام اللغوي، فقد كان الشعر كما أسلفنا مصدرا هاما للاستشهاد عند المشتغلين داخل النظام اللغوي، ونموذجا للسلامة والصحة اللغوية، فقد تمكن اللغويون بفضل هذا الشعر من وضع قواعد اللغة، وضبط قوانين النحو العربي، وقد كانت مدارسة هؤلاء العلماء للشعر وجمعه وشرحه، هي التي مكنتهم من القدرة على تذوقه، ومعرفة ضروبه، والنظر فيه بعد ذلك، وإبداء الرأي فيه، بل وتصحيحه وتصويبه، متكئين في ذلك على خبرتهم به من جهة، وعلى القواعد التي وضعوها لضبط اللغة من جهة أخرى.

ولا يعني ما ذكرناه، أن الشعر في تصورهم مجرد مستودع لحجج لغوية، وقائمة من الاستشهادات المطلوبة لأنها تشكل قولاً نموذجياً أو تثبت في الذاكرة قاعدة نحوية، كما ذهب إلى ذلك جمال الدين بن الشيخ (بن الشيخ جمال الدين، 1996: 33)، وإنما كان ذلك مرده إلى حرصهم على صحة اللغة وسلامة مصادرها، فقد أنس النحويون إلى الشعر وأحسوا أنه يمثل لغة العرب، فمادته خصيبة وفيرة مع سهولة الحفظ والرواية فاعتمدوا عليه. والملاحظ أن الاحتجاج بالشعر أفشى وأشيع كثيراً من الاحتجاج بكلام العرب النثري، ولعل هذا سببه شيوع حفظ الشعر لأن إيقاعاته تساعد على حضوره الدائم في ذاكرة الأمة، وبذلك نال الشعر عنصر الضبط الذي جعله حرياً بأن يتصدر ويصل إلى مرتبة عليا من الاحتجاج.

ولعل مرد كثرة الاحتجاج بالشعر عند اللغويين، في اعتقادنا، أن الشعر يمثل استعمال النخبة للغة، لأن الشعراء عند العرب كانوا يمثلون خاصة القوم ونخبتهم، بل كانوا يحتلون هرم التراتبية الثقافية عند العرب، فكان لزاما أن يكونوا أحرص في استعمال اللغة من العامة. فقد كان الشعراء أعلم الناس بخصائص اللغة، وضروب استعمالها، بحكم قدرتهم على اجتلاب المعاني وما يلائمها من ألفاظ وصيغ، وتراكيب.

ولعل ما يفسر هذا الحرص على انتقاء الشعر في حدود زمانية ومكانية، بعينها وللأسباب التي ذكرناها. هو أن النظام اللغوي كان يحاول أن يجعل من الشعر نموذجا لغويا، يمثل الصفاء والصحة اللغوية، وعليه وجب أن يكون هذا النموذج اللغوي أصيلا، حتى يكون مثالا يُحتذى في الاستعمالات اللغوية، ومعيارا يحكم من خلاله على الخطأ والصواب في الاستعمال اللغوي.

إن هذه الصرامة المتناهية من طرف المشتغلين داخل النظام اللغوي في النظر إلى الشعر، راجعة إلى المهمة التي اضطلعوا بها، وهي تحصين النظام اللغوي، والذي يمثل واحدا من أهم الأنظمة المشكلة لخطابهم الثقافي، إذ أن حماية هذا النظام اللغوي من التحريف والفساد هو حماية للخطاب الثقافي، وحفاظ على الهوية من الضياع.

وإذا كان النظر إلى الشعر باعتبار ما فيه من شواهد، وتمثله بوصفه نموذجا لغويا يمثل النقاء والصفاء اللغوي، فكانت الحاجة إلى الشعر حتمية تفرضها مرحلة التأسيس والتقعيد للنظام اللغوي، إلا أن القواعد والمعايير التي اختطها اللغويون في النظر إلى الشعر، ظلت تؤطر الاشتغال بهذا الشعر حتى خارج عملية الاحتجاج، بل صار تقبل الشعر

*المؤلف المراسل.

مرهون بالمعايير التي وضعها اللغويون، فقد أصبح اللغويون يتدخلون بشكل سافر في توجيه الشعر، والنظر فيه ونقده، والحكم عليه انطلاقاً من مقاييس لا تنظر إلى الشعر إلا بوصفه استعمال لغوي. وظهر النقد اللغوي الذي كان يعنى بتتبع أخطاء الشعراء ولحنهم، والذي اضطلع به مجموعة من علماء اللغة والنحاة، وكان هدف هذا النقد الذي ظهر على يد اللغويين هو "المحافظة على وضعية اللغة، وتثبيته لأصولها، وأخذه الشعراء بها" (إسماعيل عز الدين، 1986: 238). فقد وقف النحويون بالمرصاد للشعراء يحصون عليهم زلاتهم وعثرات ألسنتهم، فهذا عبد الله ابن أبى إسحاق الحضرمي يخطِّئ الفرزدق حين سمعه ينشد في مديحه لبعض بني مروان:

وعضٌّ زَمانٍ يا ابنَ مَرْوان لم يَدَعْ***من المالِ إلا مُسْحَتاً أو مُجَلَّفُ

فقال له: على أي شيء رفعت (مجلف)؟، فيقول له الفرزدق: على ما يسوؤك (المزرباني، د.ت: 136).

ويعترضه مرة ثانية في قوله:

مُسْتَقْبِلينَ شَمالَ الشامِ تَضْرِبُهُمْ***بحَاصِبٍ كَنَدِيف القُطْنِ مَنْثُورِ

على عمائِمنا تُلْقَى وأَرْحُلِنــا***على زَواحِفَ تُزجَى مُخُّها ريرِ

فيقول ابن أبى إسحاق: أسأت؛ إنما هو (ريرُ)، وكذلك قياس النحو فى هذا الموضع (الجمحي ، 1974: ج:1 :17).

وكان نتيجة هذا أن هجاه الفرزدق بقوله :

فلو كان عبدُ اللّهِ مولىً هَجَوْتُهُ***ولكنَّ عبد اللّهِ مولىَ مواليا

(الجمحي ، 1974: ج:1 :18).

والعجيب أن ابن أبى إسحاق لم يهتم بأمر الهجاء، ولم يلتفت إليه، وإنما نظر إلى اللحن، فما كاد يسمعه منه حتى قال: أخطأت، إنما هو مولى موالٍ (شوقي ضيف، 1976: 24).

وهذا أيضا تلميذه عيسى بن عمر الثقفي هو الآخر ينتقد النابغة في قوله:

فَبِتُّ كَأنى سَاوَرَتْنى ضَئِيلَةٌ***مِنَ الرُّقْشِ فى أَنْيَابِها السمُّ ناقعُ

فيراه مخطئاً في قوله (ناقعُ) بالرفع وأنه كان من الواجب أن يقول (ناقعاً) بالنصب (الجمحي، ج:1 :42)، وذلك على الحال، وجملة (في أنيابها السم) خبر مقدم ومبتدأ مؤخر.

وكان أبو عمرو بن العلاء من علماء اللغة والنحو الذين يميلون إلى تمثل النظام اللغوي في نقد الشعر، ويظهر هذا في معيارية أحكامه النقدية التي تتعلق بالخطأ والصواب في الاستعمال اللغوي، كقوله في ذم بيت ذي الرمة:

حراريك ما تنفك إلا مناخة***على الخسف أو ترمي بها بلدا فقيرا.

فقد عاب عليه إدخال (إلا) بعد (ما ينفك)، لأن (إلا) لا تدخل على (ما ينفك) و(مازال)، و(ما) مع هذه الحروف خبر وليس بجحد في رأي أحمد بن يحي، وفي رأي الأصمعي (ما) جحد و(إلا) تحقيق فكيف يجتمعان (المزرباني، د.ت :286).

وكان المبرد لا يتوان في التنبيه إلى مواقع الزلل عند الشعراء مهما بلغت درجة إجادتهم للشعر، من ذلك قوله في معرض الحديث عن أبي العتاهية "كان أبو العتاهية مع اقتداره في قول الشعر وسهولته عليه، يكثر عثاره وتصاب سقطاته، وكان يلحن في شعره ويركب جميع الأعاريض" (المزرباني، د.ت:286)، فهو مع إقراره بقدرة أبي

*المؤلف المراسل.

العتاهية الشعرية، وجودة شعره، ورفعة منزلته، يشير إلى كثرة أغلاطه النحوية، ومخالفته للنظام اللغوي، فلم يشفع لأبي العتاهية عند المبرد لا جودة شعره، ولا حسنه ولا رواؤه، من أن ينبه إلا لحنه في الشعر، وخروجه على الصحة اللغوية، فإنما يدل هذا على الموضوعية في تناول اللغويين لأخطاء الشعراء اللغوية، من ذلك أنه نبه إلى خطأ أبي العتاهية في قوله:

ولربما سئل النخيـ***ل الشيء لا يسوى فتيلا

لأن الصواب عنده، لا يساوي فتيلا، لأنه من ساوه، يساويه (المزرباني، د. ت:385).

وقد اشتهر الأخفش بالمسائل النحوية، وقدرته على القياس، فكان من أعلام النظام اللغوي، الذين قعدوا له وقننوا استعمالاته، فوقف في وجه الشعراء ومحاولاتهم الخروج على ما استقر عليه اللغويون من استعمالات سواء على مستوى الألفاظ أو على مستوى التراكيب، وأخذ على الشعراء استعمالهم للغريب، والمخالف لاستعمالات العرب، من ذلك طعنه على بشار في قوله:

والان اقصر عن سمية باطلي***وأشار بالوجلى على مشير.

وقوله:

على الغزل مني السلام فربما***لهوت بها في ظل محضرة زهر

قال الأخفش "لم يسمع من الوجل والغزل (فعلى)، وإنما قاسهما بشار وليس هذا بقياس، وإنما يعمل فيه بالسماع (المزرباني، د. ت:314).

فليس للشاعر في نظر الأخفش أن يقيس استعمالاته اللغوية، وأن يخرج على ما تواضع عليه علماء اللغة من استعمالات لغوية، حتى وان دفعته ذائقته الإبداعية لذلك، وإنما عليه إتباع ما هو جار على عادة

العرب في الكلام. في ذلك بلا ريب تضييق على الشاعر، وحجر على إبداعه، ومحاولاته في التجاوز والمخالفة والإغراب. فاللغويون لا ينطلقون في أحكامهم من أن الشعر فاعلية إبداعية لها خصوصيتها، ولها لغتها الخاصة التي تقوم على استغلال إمكانات اللغة، وما تتيحه من ثراء، وإنما ينطلقون بحكم اشتغالهم داخل النظام اللغوي، من وجوب الالتزام بمواضعات النظام اللغوي، بهدف حمايته وتثبيتا لسلطته داخل ثقافة المجتمع.

وقد اهتم اللغويون بالأخطاء المتعلقة ببنية الكلمة، لما تكتسيه من أهمية في بناء الجملة، وما تؤديه من تغير في الدلالة، لذلك خطأ الأصمعي رؤبة في فتح الياء في كلمة ضيق الواردة في وصفه للخمرة:

وشفها اللوح بمأزول ضَيَق

إذ الصواب عنده (ضيْق) أو (ضيق) (ابن قتيبة، 1982: ج:2 :598).

ولم يكتف اللغويون بالنظر في الشعر، والتنبيه على أخطاء الشعراء اللغوية فيه، بل ذهبوا ينظرون لما يجب أن يتوافر للشاعر من أدوات تمكنه من الإجادة في شعرهم، يقول الأصمعي في نص أورده عنه ابن رشيق " ... ومن ذلك أن يعلم العروض ليكون ميزان له على قوله، والنحو ليصح لسانه وليقيم إعرابه" (ابن رشيق، 1981: ج:1، 140).

3 - سلطة اللغة في النقد العربي القديم:

أصبح على الناقد في ظل السلطة المتنامية للنظام اللغوي في الثقافة العربية أن ينطلق في نظره إلى الشعر من لغة العرب الأصيلة التي جمعها اللغويون وأصلوها وقعدوا لها، ويتخذها مقياسا في الحكم على الشعر، فالصحة مرتبطة بتمثل هذه اللغة وموافقتها، وكل انحراف عنها أو تجاوز لقواعدها يعد خطأ، فالصحة اللغوية هي مدار النظر إلى

الشعر بوصفها مادته وأداته، وبها يكتسب الشعر قيمته. ويكفي أن نتأمل النقد العربي القديم لندرك ولاء النقاد لسلطة النظام اللغوي، فقد عدوا الصحة اللغوية مقياسا نقديا للحكم على الشعر.

لقد أكد النقاد على ضرورة خلو الشعر من اللحن، والعناية بالصحة اللغوية في نظم الشعر حتى يحضا بالقبول، يقول ابن طباطبا في ذلك "فإذا كان الكلام الوارد على الفهم منظوما مصفى من كدر الغي، مقوما من أود الخطأ واللحن سالما من جور التأليف موزونا بميزان الصواب لفظا ومعنى وتركيبا اتسعت طرقه، ولطفت موالجه فقبله الفهم، وارتاح له وأنس به" (ابن طباطبا، 1956: 30 -21).

فابن طباطبا يجعل من الصحة اللغوية في اللفظ والمعنى والتركيب، سببا لقبول الشعر عند المتلقين، وأقرب إلى أفهامهم ونفوسهم، ولعل ما يثيرنا في هذا النص هو عدم تحرج ابن طباطبا من تصريحه بمعيارية اللغة في النظر إلى الشعر "موزونا بميزان الصواب" مكرسا بذلك سلطة النظام اللغوي في توجيه الحكم على الشعر، فسلامة لغة الشعر من الخطأ في نظره هي ما يجعل الشعر قريبا إلى النفوس ملائما لأذواق المتلقين.

وإذا كان ابن طباطبا يربط الصحة اللغوية في الشعر، بقبوله عند المتلقين وملاءمته لأفهامهم، وأذواقهم، فإن قدامة بن جعفر يذهب بعيدا حيث اعتبر أن الحكم على الشعر بالجودة والرداءة مرتبط بمدى التزام الشاعر بقواعد اللغة، فهو يربط رداءة الشعر بـ "أن يكون ملحونا، وجاريا على غير سبيل الإعراب واللغة" (قدامة بن جعفر، د.ت، 172).

*المؤلف المراسل.

لقد أفرد قدامة بن جعفر تعريفا معيارا للشعر سيطر ردحا من الزمن على تصورات النقاد للشعر وماهيته وشروط تميزه، فإنه في النظر إلى الشعر ونقده، والحكم عليه بالجودة أو الرداء، ينطلق من نظرة معيارية أيضا، فهو يربط جودة الشعر بسلامته من اللحن، وأن يكون جاريا على سبيل الإعراب، وما ذلك إلا التزام واضح بالنظام اللغوي، الذي يحافظ على السلامة اللغوية، التي تضمن للنظام بقاءه، وديمومة سلطته الموجهة للخطاب الثقافي، ومن ثمة للفكر العربي عامة، يظهره ذلك من خلال ربطه للشعرية بالصحة اللغوية.

وذكر ابن قتيبة في كتابه (الشعر والشعراء) بعض مآخذ المتقدمين والمعاصرين على الشعراء من شعرهم مما يتعلق بالإعراب (عتيق عبد العزيز ، 1986: 386)، وكان يناقشها نقاشا علميا، مستندا على الأدلة والعلل اللغوية سواء أكان موافقا لصاحبه أم كان موافقا للشاعر. فهو يعرض المآخذ النحوية لسابقيه على الشعراء، ويحاول تبيين العلة فيها بغض النظر على موافقتها أم لا، بل يحاول شرحها والاستدلال عيها، لكن ما يستوقفنا هو مناقشته لهذه المآخذ والتي كان يعتمد فيها على أدلة اللغويين، فهو وان كان منتصرا للشاعر، إلا أنه لا ينتصر له فنيا، وإنما يعتمد في ذلك على تخريجات لغوية ونحوية. أي أنه يظل أسير لسلطة النظام اللغوي بما يفرضه عليه من أدلة وشواهد وعلل، في مناقشته لهذه المآخذ.

وقد كانت المآخذ التي أخذها الآمدي على كل من البحتري وأبو تمام تتعلق في جانب كبير منها بالنحو والتصريف، والتي أقر أنها بلغت ما يقرب الثلاثين مأخذا (الآمدي، 1982، ج:1 :54). يمكننا أن سوق منها هذا المثال في تصريحه بفساد بيت لأبي تمام يقول فيه:

*المؤلف المراسل.

يدي لمن شاء رهن لم يذق جرعا

من راحتيك درى ما الصاب والعسل

يقول "لفظ هذا البيت مبني على فساد، لكثرة ما فيه من الحذف، لأنه أراد بقوله (يدي لمن شاء رهن) أي أصافحه وأبايعه معاقدة أو مراهنة إن كان لم يذق جرعا من راحتيك درى ما الصاب والعسل، ومثل هذا لا يسوغ، لأنه حذف (إن) التي تدخل للشرط ولا يجوز حذفها، لأنها إذا حذفت سقط الشرط، وحذف (من) وهي الاسم الذي صلته(لم يذق) فاختل البيت، وأشكل معناه " (الآمدي، 1982: ج:1 190). فالآمدي يرصد هذه الأخطاء اللغوية، والتي ينطلق فيها من مخالفة الشاعر للمعيار اللغوي في نظمه للبيت، ويناقشها ويبين وجه الخطأ فيها، بل يصدر حكم قيمة على البيت بفساده. إن الآمدي لا ينطلق في حكمه بفساد هذا البيت من معايير فنية خاصة بالشعر، بل من مقياس الصحة اللغوية الذي تفرضه سلطة النظام اللغوي التي تؤطر المرجعية التي يصدر عنها الناقد، كما أن البيت إذا أشكل فهمه، فقد جماليته فهو غريب على ذوق المتلقين، ولا يمكن أن يحقق الدهشة الفنية المرجوة عند المتلقي إذا انصرف يبحث في معناه. فالوضوح مرتبط عند الآمدي بالصحة اللغوية، وهو في الوقت نفسه يربط بين الوضوح والتلقي، أي قبول الشعر ورفضه عند المتلقين مرتبط بالوضوح الذي تكرسه الصحة اللغوية.

أما القاضي الجرجاني والذي كان في وساطته مدافعا عن المتنبي، فإنه يقر بوجود أخطاء لغوية في شعره، ذلك أنه لم يجد شيئا يدفع به عن شاعره في هذا الباب سوى أن هذه الأخطاء لم يسلم منها أحد من الشعراء (القاضي الجرجاني، 1966: 14)، والجرجاني هنا لا

يقلل من أهمية المقياس اللغوي في النظر إلى الشعر، بل يكشف عن تمثله لهذا المقياس في النقد فقد نبه إلى وجود هذه الأخطاء عند باقي الشعراء. وتسميته إياها أخطاء نابع من تسليمه بمعيارية الصحة اللغوية في الحكم على الشعر.

وقد سمى ابن وكيع التنسي الأخطاء اللغوية عيوبا حين عرض لها في بيت المتنبي:

حللا كما بي فليَكُ التبريح***أغذاء ذا الرشى الأغن الشيح (المتنبي، 2001، ج:1 :243)

يقول بن وكيع "وهذا بيت فيه عيوب منها: حذف النون من (يكن) لأنها قوية بالحركة اللازمة لالتقاء الساكنين، وعيب آخر أنه حذفها مع الإدغام، وهذا غير معروف لأنه قال في بني الحرث بلحرث ولم يقل في بني النجار بلنجار، وها هو قال فليك التبريح فحذف مع الإدغام، ولم يكن علمه بالعربية طائلا ... ما كان يعتقد في النحو إلا معرفة الإعراب التي يصل بها إلى الصواب، بغير تعليل له" (التنسي ابن وكيع ، 1982: 781 -781).

يعتمد بن وكيع في تبيين عيوب هذا البيت على القياس، والقياس لا يكون إلا إلى معيار، أو نموذج معياري، فغياب هذه الاستعمالات في اللغة التي جمعها اللغويون (وهذا غير معروف)، جعله يحكم بمجانبة المتنبي للصواب، لأنه حاول أن يستخدم اللغة استخداماً فيه بعض التغاير غير المخلّ بمواضعات اللغة. فالصحة اللغوية ما كان جاريا على الاستعمال اللغوي الذي استمد منه النحو العربي قواعده. ويذهب ابن وكيع تبعا لذلك إلى ازدراء علم المتنبي باللغة العربية.

*المؤلف المراسل.

ويظهر الالتزام بالنظام اللغوي في النظر إلى الشعر عند المرزوقي، والذي ينطلق من قواعد اللغة العربية في شروحه للشعر في كثير من المواقع من كتابه "شرح ديوان الحماسة"، حيث يرى أن أي تغير في الاستعمال اللغوي يؤدي بالضرورة إلى تغير في المعنى، كما أنه لا يكتفي في شروحه بمناقشاته اللغوية و إبراز الخطأ والصواب في الاستعمال اللغوي في الشعر، وإنما يصدر في أحيان كثرة أحكاما تتعلق بجودة أو رداءة الشعر تبعا لالتزام الشاعر بالمعيار اللغوي أو مخالفته (المرزوقي، 1967: 164 -195). فالناقد يطلب في الشعر الصحة والسلامة اللغوية التي تتلاءم وعادات المتلقين اللغوية ولا تجافي أذواقهم التي تربت داخل النظام اللغوي الذي يمثل الحامل المادي لثقافتهم وهويتهم.

خاتمة:

وإذا كانت اللغة، والمشتغلون بها عمدوا إلى اتخاذ الشعر وسيلة للاستدلال والاستشهاد من أجل التقعيد لها، بوصف الشعر ملائماً لهذه الوظيفة، فإن النقاد فيما بعد – كم رأينا– لم يستطيعوا أن يتجاوزا هذا المنطلق، فقد كانت سلطة النظام اللغوي تلقي بظلالها على أحكام النقاد وآرائهم وتؤطر مرجعيتهم في النظر إلى الشعر، والتي كانت تفرض عليهم صحة اللغة مقياسا يحكم من خلاله على الشعر؛ فكرسوا بذلك سلطة اللغة في النقد العربي القديم.

<u>قائمة المصادر والمراجع:</u>

1 -الآمدي، 1982، **الموازنة**، تحقيق: السيد أحمد صقر، مطبعة دار المعارف، ط:4، القاهرة.

2 -التنسي ابن وكيع، 1982، **المنصف**، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار ابن قتيبة، دمشق.

3 -الجابري محمد عابد، 1982م، **تكوين العقل العربي**، دار الطليعة، بيروت.

4 -الجرجاني القاضي، 1966، **الوساطة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، دار المكتبة العصرية، بيروت.

5 -الجمحى ابن سلام، 1974، **طبقات فحول الشعراء**، قراه وشرحه: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.

6 -حماد أحمد عبد الرحمن، 1985، **العلاقة بين اللغة والفكر، دراسة للعلاقة اللزومية بين الفكر واللغة**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.

7 -ابن رشيق، 1981، **العمدة**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط:5، بيروت.

8 -شوقى ضيف، 1976، **المدارس النحوية**، دار المعارف، ط:1، القاهرة.

9 -ابن الشيخ جمال الدين، 1996، **الشعرية العربية**، ترجمة: مبارك حنون والولي محمد ومحمد أوراغ، دار توبقال، ط:1، الدار البيضاء.

10 -ابن طباطبا العلوي، 1956، **عيار الشعر**، تحقيق: طه الحاجري، ومحمد زغلول سلام، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة.

11 -عاصم محمد أمين بني عامر، 2010، **أثر الشفاهية في توجيه الخطاب النقدي، المرجعيات في النقد والأدب واللغة**، مؤتمر النقد الدولي الثالث عشر، جامعة اليرموك، عالم الكتب الحديثة، أربد.

12 -عبد العزيز عتيق، 1986، **تاريخ النقد الأدبي**، دار النهضة العربية، ط:31، بيروت.

13 -عز الدين إسماعيل، 1968، **الأسس الجمالية في النقد العربي**، دار الفكر العربي - دار العصر للطباعة، ط:2، القاهرة.

14 -ابن قتيبة، 1982، **الشعر والشعراء**، تحقيق و شرح أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة.

15 -ابن قدامة بن جعفر، (د.ت)، **نقد الشعر**، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت.

16 -الماحي عبد الرحمن عمر، 2007، **العولمة واستلاب الهوية الثقافية للمسلم**، المؤتمر العام التاسع عشر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

17 -المتنبي، 2001، **الديوان**، وضعه: عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتب العلمية، ط:1 ، بيروت.

18 -المرزبانى، (د.ت)، **الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر**، تحقيق: محمد علي البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة.

19 -المرزوقي، 1967 ، **شرح ديوان الحماسة**، نشره: أحمد أمين و عبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط:2، القاهرة.

20- Adam chaff, 1967, ***langage atonnaiss***, ance paris anrhropos.

*المؤلف المراسل.